

مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ

المحاضرة ٢: مَحَبَّةُ اللَّهِ الْأَبَدِيَّةُ

أ. ر. سي. سبرول

لا يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّهُ قَبْلَ السُّقُوطِ الْكِبْرِيَاءِ، بَلْ يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّهُ "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءِ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ". يَجِبُ أَنْ أَنْتَبِهَ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ إِحْدَى الْأَلْعَابِ الَّتِي تَلْعَبُهَا فِي "لِجُونِير" هِيَ لُغْبَةُ الْمَعْلُومَاتِ الْعَامَّةِ مَتَى أَرَدْنَا الْاسْتِعْدَادَ لِهَذِهِ الْمُحَاضَرَاتِ، وَنَطْرَحُ عَادَةً أَسْئَلَةً تَتَعَلَّقُ بِلُغْبَةِ الْبَيْسْبُولِ. لَكِنَّا نَتَنَاوَلُ أحيانًا أُمُورًا أُخْرَى مِنَ الْمَاضِي. وَقَدْ جَرَحَ كِبْرِيَائِي كَثِيرًا لِأَنِّي فِي الْمُحَاضَرَةِ الْأُولَى ارْتَكَبْتُ خَطَأً فَادِحًا بِشَأْنِ "الْمِيرِ غَانْتَرِي"، حِينَ نَسَبْتُ دَوْرَ الْأُخْتِ "شَارون فالكُونر" إِلَى "شِيرلي جُونر"، فِي حِينِ أَنَّ "جِين سِيمُونز" هِيَ الَّتِي أَدَّتِ الدَّوْرَ. لَا أَعْرِفُ كَيْفَ فَعَلْتُ ذَلِكَ. لَكِنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِتَصْحِيحِ ذَلِكَ هِيَ الْاِعْتِذَارُ الْآنَ فِي هَذِهِ الْمُحَاضَرَةِ عَلَى مَا فَعَلْتُهُ فِي الْمُحَاضَرَةِ السَّابِقَةِ. بِهَذَا الْاِعْتِذَارِ أَنَا أَنْجِي نَفْسِي مِنَ الْكَسْرِ وَالسُّقُوطِ. فَلْنَتَابِعِ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَهِيَ مَحَبَّةٌ عَظِيمَةٌ لِدَرَجَةٍ أَنْ مَرَّاجِمَهُ تَسْتُرُ أَخْطَائِي هَذِهِ.

قُلْتُ فِي الْمُحَاضَرَةِ الْأُولَى إِنَّهُ مِنَ الْمُهْمِّ جِدًّا أَنْ نَفْهَمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ مَقْرُونَةً بِصِفَاتِ اللَّهِ الْأُخْرَى، وَدَكَرْتُ قَدَاسَةَ اللَّهِ بِإِجَازٍ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ هِيَ مَحَبَّةٌ مُقَدَّسَةٌ. الصِّفَةُ التَّالِيَةُ الَّتِي أُرِيدُ التَّكَلَّمَ عَنْهَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ هِيَ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَكَمَا هُوَ اللَّهُ، هِيَ سَرْمَدِيَّةٌ. حِينَ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ سَرْمَدِيٌّ فَإِنَّا نَتَكَلَّمُ عَنْ أَمْرٍ أَعْظَمَ مِنْ مُجَرَّدِ بَقَاءِ وَجُودِهِ، حِينَ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ سَرْمَدِيٌّ فَإِنَّا نَقُولُ بِذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ ذَاتِي الْوُجُودِ، أَيُّ أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ بَدَايَةٌ، وَهُوَ لَا يَسْتَمِدُّ وَجُودَهُ أَوْ كَيْفِيَّتَهُ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ آخَرَ، بَلْ إِنَّهُ يَمْلِكُ قُوَّةَ الْكَيْفِيَّةِ فِي نَفْسِهِ. وَقَدْ قُلْتُ مِرَارًا إِنَّ الْمُصْطَلَحَ اللَّاهُوتِيَّ الْمُفْضَلَ لَدَيَّ، الْمُصْطَلَحَ النَّقْنِيَّ الْمُفْضَلَ لَدَيَّ فِي اللَّاهُوتِ، هُوَ الْمُصْطَلَحُ "أَسِييْتِي" أَيُّ "الْوُجُودُ الذَّاتِي". وَقُلْتُ إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَجْعَلُنِي أَفْشَعْرُ حِينَ أَتَأَمَّلُ فِي طَبِيعَةِ اللَّهِ، وَهَذَا يَعْنِي بِبَسَاطَةٍ أَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ بِذَاتِهِ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهِ، هُوَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ خَارِجِ ذَاتِهِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِ أَوْ كَيْفِيَّتِهِ.

مَا نَقْصِدُهُ بِذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَمَّةً وَقَدْ حَيْثُ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مُوجُودًا، لَا تُوجَدُ نُقْطَةُ بَدَايَةِ اللَّهِ. نَقْرَأُ الصَّفْحَةَ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَقَدْ جَاءَ فِيهَا "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ". يُوجَدُ تَبَايُنٌ كَبِيرٌ هُنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَالَمِ وَالْخَالِقِ، لِأَنَّهُ حِينَ جَاءَ "فِي الْبَدْءِ"، فَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ هُوَ أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَيْسَ أَرْلِيًّا. لِهَذَا الْعَالَمِ بَدَايَةٌ، نَحْنُ لَدَيْنَا بَدَايَةٌ، لِأَنَّ وَجُودَ بَدَايَةٍ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَخْلُوقِ. لَكِنِ لَيْسَ مَكْتُوبًا "فِي الْبَدْءِ بَدَأَ اللَّهُ"، بَلْ جَاءَ "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ"، مَا يَعْنِي أَنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مُوجُودًا. هَذَا يَلْفِتُ الْاِنْتِبَاهَ إِلَى وَجُودِهِ الذَّاتِيِّ الْأَرْلِيِّ. لَكِنِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْعَالَمَ هُوَ كَانَ مُوجُودًا.

وَمَا أَوْصَحَهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ أَنَّهُ مُنْذُ وُجُودِهِ مُنْذُ الْأَزَلِّ، كَانَتْ تَكْمُنُ فِي طَبِيعَتِهِ مُنْذُ الْأَزَلِّ صِفَةُ الْمَحَبَّةِ. إِذَا، لَمْ يُصْبِحِ اللَّهُ إِلَهَ الْمَحَبَّةِ فِي وَقْتِ الْخَلْقِ، لَكِنَّهُ كَانَ دَائِمًا إِلَهَ الْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْحَالُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ شَيْءٌ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ مُنْذُ الْأَزَلِّ وَقَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ، عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ "مَا كَانَ مَوْضُوعَ مِنَ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ؟" مَا كَانَ مَوْضُوعَ عَاطِفَةِ اللَّهِ مُنْذُ الْأَزَلِّ؟ وَهَذَا سُؤَالَ مُعَقَّدٌ جِدًّا، وَجَوَابُهُ مُعَقَّدٌ، لِأَنَّ حِينَ نَفَكِّرُ فِي الْخَلْقِ فَإِنَّا نَمِيزُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْفِدَاءِ. خَلَقَ اللَّهُ الْعَالَمَ فِي حَالَةٍ حَسَنَةٍ، وَقَدْ آلَ الْعَالَمُ إِلَى الْخَرَابِ جِرَاءَ سُفُوطِ الْبَشَرِيَّةِ، ثُمَّ إِنَّ الْجُزْءَ الْمُتَبَقِّيَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بَعْدَ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ يُسَجِّلُ لَنَا عَمَلَ اللَّهِ لِلْفِدَاءِ، الَّذِي بِمُوجِبِهِ يُنْقَذُ شَعْبُهُ مِنْ هَذَا الْإِنْهِيَارِ الْكَبِيرِ النَّاتِجِ عَنِ السُّفُوطِ.

لَكِنْ قَبْلَ الْخَلْقِ وَقَبْلَ الْفِدَاءِ كَانَ اللَّهُ مُوجُودًا. وَقَبْلَ الْخَلْقِ كَانَ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ بِالسُّفُوطِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَتِمُّ مَخْطَطًا لِلْفِدَاءِ. إِذَا، مُنْذُ الْأَزَلِّ كَانَ لَدَى اللَّهِ مَخْطَطٌ لِلْفِدَاءِ. وَمَخْطَطُ الْفِدَاءِ ذَلِكَ كَانَ يَتَضَمَّنُ فِيهِمُ اللَّهُ لِطَبِيعَتِهِ الثَّلَاثِيَّةِ، وَلِعَمَلِ الْفِدَاءِ الَّذِي سَتَتِمُّهُ أَقَانِيمُ اللَّهِ الثَّلَاثَةُ فِي مَا بَيْنَهَا. إِذَا، فِي اللَّاهُوتِ نَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ عَهْدِ الْفِدَاءِ الَّذِي لَا يُشَارُ بِهِ إِلَى عَهْدِ يَصْنَعُهُ اللَّهُ مَعَنَا بَلْ إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي يُبْرِئُهُ اللَّهُ، يُبْرِئُهُ اللَّهُ الْآبَ مَعَ اللَّهِ الْإِبْنِ وَاللَّهُ الرُّوحِ الْقُدْسِ مُنْذُ الْأَزَلِّ. نَحْنُ نَقْرَأُ أَنَّ الْآبَ هُوَ مَنْ يُرْسِلُ الْإِبْنَ إِلَى الْعَالَمِ، لَكِنْ حِينَ يُرْسِلُ الْإِبْنَ إِلَى الْعَالَمِ، فَهُوَ يُرْسِلُ الْإِبْنَ إِلَى الْعَالَمِ، لِأَنَّ الْإِبْنَ وَافَقَ مُنْذُ الْأَزَلِّ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَى الْعَالَمِ. لَيْسَ أَنَّ الْأَقْنُومَ الثَّانِي مِنَ الثَّلَاثِ تَرَدَّدَ فِي الدُّخُولِ إِلَى طَبِيعَتِنَا السَّاقِطَةِ لِيُتِمَّ فِدَاءَنَا، بَلْ مُنْذُ الْأَزَلِّ هُوَ سَرٌّ بِتَثْمِيمِ مَشِيئَةِ الْآبِ.

إِذَا، تَمَّ الْإِتِّفَاقُ قَبْلَ الْخَلْقِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ بِأَنْ يُرْسَلَ الْآبُ الْإِبْنَ، وَبِأَنْ يَنْزَلَ الْإِبْنُ طَوْعًا مِنَ السَّمَاءِ وَيَتَّخِذَ طَبِيعَةً بَشَرِيَّةً، وَبِأَنْ يُعْرَضَ نَفْسُهُ لِلِهَوَانِ، وَبِأَنْ يُصْبِحَ عَبْدًا مُطِيعًا حَتَّى الْمَوْتِ لِكَيْ يَفْدِيَ شَعْبَهُ. إِذَا، كَانَ دَوْرُهُ فِي الْفِدَاءِ يَقْضِي بِتَثْمِيمِ الْمَهْمَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الْآبُ أَمَامَهُ. ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ الرُّوحِ الْقُدْسِ مُنْذُ الْأَزَلِّ. الرُّوحُ يَقْتَرِفُ مَعَ الْآبِ وَالْإِبْنِ عَلَى أَنْ يَسْرِيَ عَمَلُ الْمَسِيحِ عَلَى شَعْبِ اللَّهِ، بِحَيْثُ أَنَّ عَمَلَ الْفِدَاءِ لَيْسَ عَمَلَ الْآبِ فَحَسْبُ أَوْ عَمَلَ الْإِبْنِ فَحَسْبُ أَوْ عَمَلَ الرُّوحِ الْقُدْسِ فَحَسْبُ، إِنَّهُ عَمَلَ الثَّلَاثِ. كَمَا أَنَّ عَمَلَ الْخَلْقِ هُوَ عَمَلَ الثَّلَاثِ. يَقُولُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَكِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْإِبْنِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي هُوَ بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. وَحَتَّى فِي سَرْدِ الْخَلْقِ نَرَى أَنَّ الرُّوحَ هُوَ مَنْ كَانَ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ وَيَخْلُقُ نُورًا مِنَ الظُّلْمَةِ. إِذَا، الْخَلْقُ وَالْفِدَاءُ هُمَا عَمَلَانِ تَمَمَّهُمَا الثَّلَاثُ الْإِلَهِيُّ. وَالْمَقْصُودُ هُوَ أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ الْأَزَلِّ.

يَقُولُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَيْضًا إِنَّ أَحَدَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتُ اللَّهُ مُنْذُ الْأَزَلِّ عَلَى تَثْمِيمِ مَخْطَطِ الْفِدَاءِ هُوَ مَحَبَّتُهُ لِخَلِيقَتِهِ. لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ. فَمِنْ مَحَبَّتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ انْتَبَقَ مَخْطَطُ الْفِدَاءِ. لَكِنَّا نَخْطِي إِنْ اعْتَدْنَا أَنَّ الْمَوْضُوعَ الْأَسَاسِيَّ أَوْ الْحَضْرِيَّ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ هُوَ الْعَالَمُ وَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ سَرَّ بِفِدَائِهِمْ. مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا، وَأَنَّهُ بِدَافِعِ مَحَبَّتِهِ أَرْسَلَ الْمَسِيحَ، كَمَا قَالَ لَنَا يُوحَنَّا، لِيَكُونَ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا، لَكِنْ الْمَوْضُوعُ

الأساسي لمحبة الله هو الابن. وغالبًا ما يتم تجاهل هذا الأمر في دراستنا للكتاب المقدس. ويجب أن ننتمي مجددًا إلى المرات العديدة التي يتكلم فيها العهد الجديد عن محبة الأب لابن. فعلى الرغم من أنه صحيح تمامًا أن الله يحبنا، يجب أن نتذكر أنه يحبنا في الابن. نحن مشمولون بالمسيح. وعمل الفداء برمته هو عمل يرانا الأب خلاله على أننا ننتمي إلى الابن. ونظرًا لمحبة العظيمة لابن شملنا عمل الفداء.

فلننأمل قليلًا في الرسالة الثانية للرسول بطرس، الأصحاح الأول وابتداءً من الآية ١٦. إليكم ما قاله بطرس "لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومحبته، بل قد كنا معانين عظمتة. لأنه أخذ من الله الأب كرامة ومجدًا، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسمى: «هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به». ونحن سمعنا هذا الصوت مهبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس". لا شك في ما يتذكره بطرس هنا حين يكتب إلى أصدقائه إنه يرجع إلى الحادثة في حياة يسوع التي تمت قبيل نهاية خدمته الأرضية، حيث كان قد ترك أورشليم وسافر شمالاً مع تلاميذه. وبعد الاعتراف في قيصرية فيلبس، بعد بضعة أيام، تجلّى على جبل التجلي في حضور بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين كانوا شهود عيان على ظهور إيليا وموسى معه. حين صارت ملابس المسيح بيضاء ولامعة كالنور، بل أكثر لمعاناً من الشمس في الظهر، فتغيرت هيئة المسيح. وأراد بطرس أن يبني مظالاً، وأن يبقى هناك إلى الأبد. وقد عمرهم مجد المسيح وجلاله حيث أن بهاء طبيعته الإلهية اخترق عباءة طبيعته البشرية، وتجلّى أمام عيون تلاميذه المقربين، وسمعوا صوتاً من السماء حيث كان الله يقول "هذا هو ابني الحبيب". هذا هو ابني الحبيب، الصوت نفسه الذي كان قد تكلم بصوت عالٍ لدى معمودية يسوع في نهر الأردن، حين نزلت حمامة مريئة من السماء كعلامة أو رمز لنزول الروح القدس ليُمسح المسيح لأجل خدمته الأرضية. مجددًا انفتحت السماوات، وتكلم الله بصوت مسموع قائلاً "هذا هو ابني الحبيب". إذاً، نحن نرى في العهد الجديد تكراراً للإعلان أن يسوع هو حبيب الأب.

في الواقع، يرى الرسل ذلك كنتيجة طبيعية للعلاقة الحميمة ضمن أقانيم الله، بين الأب والابن والروح القدس. لكن في الوقت نفسه، يتكلم الكتاب المقدس عن محبة الله لنا على أنها محبة سرمدية، راسخة ومُتأصلة في محبة الأب لابن. ليس الأمر بديهيًا وواضحًا كمحبة الأب لابن، في الواقع، هذه المحبة تُجاهنا تُثير دُهوراً رسوليًا لدى الأشخاص الذين يتأملون فيها في العهد الجديد. نرى ذلك مجددًا إن رجعنا إلى رسالة يوحنا الأولى، حيث سمعنا أن الله محبة. قبل ذلك في النص في الأصحاح الثالث، يبدأ الأصحاح الثالث من رسالة يوحنا الأولى بالكلمات الآتية "أنظروا آية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله! من أجل هذا لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه. أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن تعلم أنه إذا أظهر تكون مثله، لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يظهر نفسه كما هو طاهر". لاحظوا لهجة الدهشة والدهول

الَّتِي يُظْهِرُهَا يُوحَنَّا هُنَا حِينَ يَقُولُ "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، آيَةٌ مَحَبَّةٍ هَذِهِ؟" أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ هَذَا، حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ؟ لَا يُمَكِّنُهُ تَجَاوُزُ ذَلِكَ. فَهَذَا لَيْسَ أَمْرًا يَعْتَبَرُهُ تَحْصِيلًا حَاصِلًا، وَأَنْ كُلَّ مَنْ خَلَقَهُ الْخَالِقُ هُوَ تَلْقَائِيًّا ابْنٌ لِلَّهِ. هُوَ يُدْرِكُ أَنَّ اعْتِبَارَهُ عَضْوًا فِي عَائِلَةِ اللَّهِ هُوَ امْتِيَازٌ يُنْمَحُ بِالنِّعْمَةِ، وَبِالنِّعْمَةِ وَحْدِهَا. وَهُوَ أَعْظَمُ امْتِيَازٍ يُمَكِّنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ فَإِنْ أَنْ يَخْتَبِرَهُ.

مُجَدِّدًا، يُوضِّحُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ أَنَّ تَسْمِيَتَنَا أَوْلَادَ اللَّهِ كَتَعْبِيرٍ عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُذْهِلَةِ وَالْمُدْهِشَةِ رَاسِخَةً وَمُتَأَصِّلَةً فِي تَبَيُّنِنَا. نَحْنُ لَسْنَا بِالطَّبِيعَةِ أَوْلَادَ اللَّهِ. جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّنَا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءُ الْعَضْبِ، نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءُ إِبْلِيسَ، لَكِنْ مِنْ خِلَالِ التَّبَيُّنِ أَصْبَحْنَا مُعْتَبَرِينَ أَوْلَادَ اللَّهِ. أَطُرُّ أَنَّ أَعْظَمَ مَقْطَعٍ يُوضِّحُ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي رِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةَ، فِي الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ وَابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ ٩. فِي الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةَ وَابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ ٩ يَقُولُ بُولُسُ مَا يَلِي: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ." لَاحِظُوا أَنَّ بُولُسَ كَانَ قَدْ قَالَ سَابِقًا إِنَّنَا فِي الْجَسَدِ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ، لَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا مِنْ رُوحِ اللَّهِ بِوِلَادَتِنَا الْبِيُولُوجِيَّةِ. "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ"...إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ لِمُؤْمِنِي رُومِيَّةَ، "فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ."

إِلَيْكُمْ بَيْتُ الْقَصِيدِ: "فَإِذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ نَحْنُ مَذْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشَ حَسَبَ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تَمِيشُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيُونَ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ." أَنْ تَكُونَ ابْنًا لِلَّهِ لَيْسَ أَمْرًا طَبِيعِيًّا، أَنْ تَكُونَ ابْنًا لِلَّهِ هُوَ أَمْرٌ فَائِقٌ لِلطَّبِيعَةِ. وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ غَيْرِ مُتَجَدِّدٍ، مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَفْتَقِرُ إِلَى حُضُورِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي نَفْسِهِ، يَبَالُ امْتِيَازًا أَنْ يَكُونَ ابْنٌ لِلَّهِ. لَكِنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ يَسْكُنُ رُوحَ اللَّهِ فِيهِمْ مَعْدُودُونَ ضِمْنَ عَائِلَةِ اللَّهِ. ثُمَّ يُتَابِعُ قَائِلًا مَا يَلِي: "لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعِبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَيُّنِ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: «يَا أَبَا الْأَبِّ!» الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ."

إِحْدَى الْقِصَصِ الْمُفْضَلَةِ لَدَيَّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالَّتِي أَعْتَقِدُ أَنَّهَا تُوضِّحُ بِقُوَّةٍ مَبْدَأَ التَّبَيُّنِ هَذَا، هِيَ قِصَّةُ مَفْيُوشَتَ. إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ مَفْيُوشَتَ فَهُوَ كَانَ ابْنًا أَعْرَجَ لِيُونَاثَانَ، وَقَدْ كَانَ أَعْرَجَ فِي سَاقِيهِ الْاِثْنَيْنِ. نَذْكُرُ الْمَحَبَّةَ غَيْرَ الْعَادِيَّةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ يَكْنُهَا لِيُونَاثَانَ، وَكَانَ يُونَاثَانُ يَكْنُهَا لِدَاوُدَ. لَقَدْ كَانَتْ مَحَبَّةُ يُونَاثَانَ لِدَاوُدَ عَظِيمَةً جِدًّا لِذَرَجَةِ أَنْ يُونَاثَانَ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِلتَّخْلِ عَنِ حَقِّهِ الطَّبِيعِيِّ بِالْمُطَالَبَةِ بِعَرْشِ أَبِيهِ شَاوُلَ لِكَيْ يُمَسِّحَ دَاوُدَ مَلِكًا. وَلَمَّا

طَارَدَ شَاوُلُ دَاوُدَ لِيَقْتُلَهُ سَاعِدَ يُونَاثَانَ دَاوُدَ عَلَى الْهَرَبِ، لِشِدَّةِ عَظْمَةِ رِبَاطِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَهُمَا. ثُمَّ نَفَرْنَا عَنْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْمَصِيرِيَّةِ الَّتِي قُتِلَ شَاوُلُ فِيهَا، وَلَمْ يُقْتَلِ شَاوُلُ فَحَسِبُ بَلْ يُونَاثَانُ قُتِلَ أَيْضًا. وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى دَاوُدَ فَبَكَى دَاوُدَ قَائِلًا "كَيْفَ سَقَطَ الْجَبَابِرَةُ؟" وَقَالَ "لَا تُخْبِرُوا فِي جَتِّ لَا تُبَشِّرُوا فِي أَسْوَاقِ أَشْقَلُونَ" لِئَلَّا يَفْرَحَ الْأَعْدَاءُ بِهَلَاكِ صَدِيقِهِ الْحَبِيبِ.

ثُمَّ حَرَصَ رُؤَسَاءُ جَيْشِ دَاوُدَ عَلَى حِمَايَةِ دَاوُدَ مِنْ أَيِّ تَدَخُّلٍ يَمْنَعُ اغْتِلَاءَهُ الْعَرْشَ، فَفَعَّلُوا جَمِيعَ أَقَارِبِ عَائِلَةِ شَاوُلِ حِرْصًا عَلَى عَدَمِ بَقَاءِ أَيِّ مُطَالِبٍ بِالْعَرْشِ. وَوَسَطَ ذَلِكَ كُلِّهِ، هَرَبَ الْإِبْنِ الْأَعْرَجِ مَفْيُوشَتَ، حَمَلَتْهُ مَرْبِئَتُهُ وَهَرَبَتْ. ثُمَّ أَطْلَقَ دَاوُدَ أَمْرًا يَسْأَلُ فِيهِ "هَلْ يُوْجَدُ بَعْدَ أَحَدٍ قَدْ بَقِيَ مِنْ بَنَاتِ شَاوُلٍ؟ هَلْ يُوْجَدُ أَحَدٌ قَدْ بَقِيَ مِنْ عَائِلَةِ يُونَاثَانَ؟" وَجَعَلَ حُرَّاسَهُ يَجُولُونَ فِي أَنْحَاءِ الْبِلَادِ بَاحِثِينَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ وَرُكْنٍ، فَوَجَدُوا الصَّبِيَّ مَفْيُوشَتَ وَأَخْضَرُوهُ إِلَى الْبَلَاطِ، فَأَصِيبَ مَفْيُوشَتَ بِالذُّعْرِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَتِمُّ إِخْضَارُهُ إِلَى دَاوُدَ لِيَقْتُلَهُ. وَمَاذَا فَعَلَ دَاوُدُ؟ قَالَ لِمَفْيُوشَتَ "لَقَدْ صرَّتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَسَتَأْكُلُ عَلَى مَائِدَةِ الْمَلِكِ كُلِّ يَوْمٍ" وَرَفَعَ مَفْيُوشَتَ إِلَى مَكَانَةِ مَلَكِيَّةٍ فِي مَمْلَكَتِهِ، لِمَاذَا؟ لَيْسَ لِأَنَّ دَاوُدَ كَانَ يُحِبُّ مَفْيُوشَتَ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَفْيُوشَتَ، لَكِنَّهُ أَكْرَمَ مَفْيُوشَتَ، وَأَنْقَذَ مَفْيُوشَتَ، وَأَعَدَّقَ عَلَى مَفْيُوشَتَ بِالْبَرَكَاتِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ يُحِبُّ يُونَاثَانَ. وَبِسَبَبِ أَنَّ دَاوُدَ أَحَبَّ يُونَاثَانَ، تَبَنَّى مَفْيُوشَتَ وَضَمَّهُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَهَذَا مَا صَنَعَهُ اللَّهُ لِأَجْلِنَا. بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لِلْمَسِيحِ، تَبَنَّى وَضَمَّنَا إِلَى عَائِلَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ، وَجَعَلْنَا وَرَثَةً مَعَ الْمَسِيحِ، شُرَكَاءَ فِي الْمِيرَاثِ مَعَ الْمَسِيحِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَحَبَّنَا بِفَضْلِ يَسُوعَ. نَحْنُ أَحِبَّاءُ الْآبِ لِأَنَّهُ هُوَ حَبِيبُ الْآبِ. وَيَجِبُ أَلَّا نُنْسَى ذَلِكَ أَبَدًا، إِنَّهُ هُوَ حَقِّقَةُ عَيْنِ الْآبِ، وَنَظَرًا لِمَحَبَّةِ الْآبِ الشَّدِيدَةِ لِلابْنِ، يَمْنَحُ عَطَايَا لِابْنِهِ، وَهِيَ أَنْتَ وَأَنَا، نَحْنُ الْمُتَبَنِّونَ فِي عَائِلَتِهِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).